

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٩: ١١-١٤)

يا إخوة إنَّ المسيحَ إذ قد جاء رئيسَ كهنةٍ للخيراتِ المستقبليةِ فيمَسكنَ أعظمَ وأكملَ غيرِ مصنوعٍ بأيدي أيِّ ليس من هذه الخليقة* وليس بدمِ تيروسٍ وعجولٍ بل بدمِ نفسه دخلَ الأقداسَ مرةً واحدةً فوجدَ فداءً أبدياً* لأنَّهُ ان كان دمُ ثيرانٍ وتيروسٍ ورمادُ عِجَلَةٍ يُرْسُ على المُنَجِّسينَ فيقدِّسهم لتطهير الجسد* فكَم بالأحرى دمُ المسيحِ الذي بالروحِ الأزليِّ قَرَّبَ نفسه لله بلا عيبٍ يَطهرُ ضمائرَكم من الأعمالِ الميِّتةِ لتعبدوا اللهَ الحيَّ.

الإنجيل

(مرقس ١٠: ٣٢-٤٥)

في ذلك الزمان أخذ يسوع تلاميذه الإثني عشرَ وابتدأ يقول لهم ما سيعرضُ له: هوذا نحن صاعدون إلى أورشليمَ وابنُ البشرِ سيُسلمُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والكتبةِ فيحكمون عليه بالموتِ ويُسلمونه إلى الأممِ* فيهزأون به ويصُتقون عليه ويجلِّدونه ويقتلونه وفي

من البرية إلى أرض الميعاد

نقرأ في سيرة أمنا البارة مريم المصرية، التي خصصت لها الكنيسة المقدسة الأحد الخامس من الصوم، أن هذه التائبية العظيمة هجرت العالم ومباهجه إلى برية الأردن حيث قضت باقي أيامها في جهاد يعجز اللسان عن وصفه، حتى بلغت السكنى في الله وسلامها المنشود.

نحن نعرف من تعاليم أبائنا نساك القفار أنهم لم يعتزلوا في تلك البراري الموحشة لمجرد هجر العالم، وإلا لكان هذا هروبا وليس جهادا في سبيل التقديس. إن إيمانهم الوثيق بمقاصد الله ومواعيده كان دافعهم إلى

استرجاع حدث خروج شعب الله من أرض العبودية لفرعون إلى حيث لا سيد سوى الله. عمليا هذا ما نحياه في جهاد الصوم، وهو ما ينبغي أن نكون عليه طيلة حياتنا على الأرض. إذا كانت البرية في معناها الجغرافي مكانا مقفرا موحشا، فهي في معناها الروحي حالة ليس فيها ما يشغل الإنسان عن مواجهة أهوائه وترويضها استرجاعا لصورة الله فيه. إنها المعبر الوحيد إلى الملكوت الموعود، إلى القصد الإلهي الذي يحكيه الكتاب المقدس وتعاليم المجاهدين الذين عبروا وتركوا لنا

خبراتهم.

قلنا إن البرية في الوجدان المسيحي هي استرجاع لحقبة من التاريخ المقدس شهدت تحوُّل أمة مستعبدة إلى شعب حر، وهي في الوجدان الشخصي لكل مؤمن عصيان إرادي على حالة الخطيئة واستسلام لإرشاد الله وتجليات رحمته وصولا إلى الملكوت الموعود. الكتاب الإلهي يكشف قصد الله من حاجتنا لعبور هذه «برية». فخالقنا الذي ما انفك يوما يصنع لنا

الخلاص تلو الخلاص، أراد لنا هذا المسلك، وإن كان ليس الأسهل، (خر ١٧: ١٣) ليكون لنا سبحانه المرشد الوحيد (١٣: ٢١-٢٢) وهو وحده الأمين. هناك لا يكون لنا إله

نعبد سواه. عندئذ، نعدُّ العهد مع الله الحق وحده ونتلقى منه الشريعة المحيية التي تؤول بالمؤمن إلى عهد النعمة متي صار بالوصايا الإلهية إنساناً جديداً. إسرائيل صار في البرية شعباً جديداً، وريثاً لا عبداً، شعباً خاصاً لله محصياً منه (عدد ١: ٣-١٠). الله يحصي شعبه وكأننا به يعلن التزامه بالذين صاروا له واحداً واحداً. من يطالع سفر العدد في العهد القديم قد لا يفهم الغاية من التعداد والإحصاء إن لم يكن واعياً هذه الخلفية.

العدد ١٣/٢٠٠٤
الأحد ٢٨ آذار
الأحد الخامس من الصوم
أحد البارة مريم المصرية
تذكار أبينا البار إيلاريون الجديد
اللحن الثامن
إنجيل السحر الثامن

اليوم الثالث يقوم* فدنا إليه يعقوبُ ويوحنا ابنا زبدي قائلين يا معلم نريد أن تصنع لنا مهما طلبنا* فقال لهما ماذا تريدان أن أصنعَ لكما* قالا له أعطنا أن يجلسَ أحدنا عن يمينك والآخرُ عن يسارك في مجدك* فقال لهما يسوع إنكما لا تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأسَ التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا* فقالا له نستطيع. فقال لهما يسوع أمّا الكأسُ التي أشربها فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها فتصطبغان، وأمّا جلوسكما عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيهِ إلا للذين أعد لهم* فلما سمع العشرة ابتدأوا يغضبون على يعقوبَ ويوحنا* فدعاهم يسوع وقال لهم قد علمتم أن الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم، وعظماءهم يتسلطون عليهم* وأمّا أنتم فلا يكون فيكم هكذا* ولكن من أراد أن يكون فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً* ومن أراد أن يكون فيكم أولَ فليكن للجميع عبداً* فإن ابنَ البشر لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فداءً عن كثيرين.

تأمل

سبلنا أيها الأبناء أن نبالغ في حفظ أقوال

بالمفهوم الأرضي المتحكم بالإنسان، هذه الحالة الروحية لا تقارن بعيش الزمنيات والتمتع بها. عيش الأرضيات وجه من أوجه مرضنا بعد السقوط. فأعيننا ما عادت تبصر إلا ما كان محسوساً وفورياً. الإنسان في مراحل جهاده يضعف ويقنط، بل ويتذمر من تدبيرات الله التي لا طاقة له على فهمها ذهنياً. الإسرائيليون تخلوا عن أمانتهم لله واشتاقوا إلى التنعم بالأمان والمأكل والمشرب ولو في ظل العبودية. الإنسان المتصدي لأهوائه قد يشتهي الاستسلام أحياناً، والله يعرف ضعفنا، لكنه في الشدائد يخاطبنا بصوت موسى قائلاً «لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاصَ الربِّ الذي يصنعه لكم اليوم... الربُّ يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٣-١٤). يعلمنا القديس مكسيموس المعترف أن الإنسان بعد السقوط بات يخاف من كل ما لا يتسع له عقله، وحياة البرية تخيف الإنسان لأنها لا تخضع إلا لعناية الله وحده. أنت في البرية مستسلم لله بكليتك ولا قدرة لك من ذاتك.

صحيح أن الله أراد لنا أن نولد من جديد في هذه البرية الروحية، لكنه لم يرد لنا إقامة دائمة فيها بل أرادها معبراً إلى «أرض جيدة تفيض لبناً وعسلاً» (خر ٣: ٨). وبالرغم من تخلي الإنسان عن أمانته يبقى الله أميناً لمقاصده، مشدداً الساقطين بعلاجات خلاصه، معلنا مجده بقوة (عدد ٢٠: ١١) كما ترمز إليه حادثة الحية النحاسية في السفر عينه (٢١: ٨-٩). تجليات مجد الله تعزّي المؤمن في جهاده إذ يرى فيها يقينا بغلبة الرب وخلاصه للبشر، مهما اشتد الصراع أو طال. عيش البرية روحياً هو إذا فرصة للمؤمن المجاهد للتعلم في فحص قلبه وتعزيز التمسك برحمة الله ومقاصده الخلاصية. لكن الإنسان يبقى قابلاً للتراخي من جديد ما إن يستقر

روحياً، إذا صح التعبير. هنا تكمن خطورة بالغّة، إذ تعود الأهواء التي كانت قد طردت بالجهاد وتحضر معها أهواء أُشْرَّ منها (لو ١١: ٢٤-٢٦). تفادياً لهذا الخطر الفتاك، لا ينفك المؤمن اليقظ يتذكر صنائع الله مؤجّجاً الشوق إلى رحمت ربّه على الدوام، عاملاً بقول صاحب المزامير (١٤٣: ٥-٦). ولأن الله لم يرتض لنا هذه البرية إلا معبراً إلى الملكوت الموعود، يتغرب المجاهدون طوعاً عن تعزيات العالم الواهية «إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً» (اشع ٣٢: ١٥).

بالنسبة للمؤمنين ليست البرية أو الغربية عن نواميس العالم إلا مكان الاستعداد لمجيء المسيح. هذا المجيء يتحقق على المستوى الشخصي في نفس كل مجاهد يستجيب لنداء النبي «الصارخ في البرية» (يو ١: ٢٣) والحاضر في الكنيسة الكارزة بالتوبة وغفران الخطايا. نحن أبناء جرن المعمودية لنا مثال وحيد هو آدم الجديد، المسيح الذي لبس طبيعتنا لينقيها بطهر لاهوته. لقد جدد المسيح في حياته على الأرض معنى الأمانة في العلاقة مع الله إذ بدل العصيان بالطاعة المطلقة منذ تجسده حتى موت الصليب. بهذه الطاعة واجه المسيح تجارب الشيطان في البرية وبقى، على عكس شعب الله قديماً، أميناً لأبيه، مفضلاً كلمة الله على الخبز، والثقة بالله على المعجزات، والآيات الباهرة والطاعة لأبيه على كل سلطان أرضي... فكانت له الغلبة على المجرّب. في الحديث عن قيام الملائكة بخدمته إشارة واضحة إلى استرجاع حياة الفردوس، وهي الحياة التي خلق آدم لها أصلاً (متى ١١: ٤-١١).

لا شك أن فهم رمزية البرية ضروري لفهم حالة الكنيسة في العالم، التي تقارع الشيطان في أرضه بجهاد وأمانة مستمرين حتى

شرائعنا. ونتفهم بحرص شديد معاني التعاليم المقروءة علينا ونجتهد في تنظيف أراضي قلوبنا من الأشواك الخائفة ونحرسها من الطيور والبهائم وعابري السبيل لكي نثمر الثمرات الزكية ونستعد للخلود في النعيم. فإن الذين سمعوا قبلنا إذ لم يقبلوها راغبين سقطوا من مراتبهم وعثروا في ظلام كفرهم وضلوا عن السبيل القويم واختنقوا تحت اللذات وأعماهم الحسد وتمسكوا بأذيال الرئاسة وهبطوا في دركات الرذيلة. لنسمع الآن كيف يصف الكتاب الإلهي اهتمام باري البرية بجنس البشر كما تهتم الناس بالملك عند قدومه إلى المدينة. فإن المهتمين بالضيافة والذين يعدون التقاويم والكرامات يتقدمون قبل وصوله بفرش المجالس وذبح الذبائح وترويح الأطعمة وجمع الأزهار والفواكه حتى إذا دخل الملك مدينتهم يجد جميع حاجاته مهياً فيكون راضياً مسروراً. وكذلك فعل سيد البرايا حين عزم على خلق آدم الإنسان الأول. فإنه أظهر بإخراج الكائنات المختصة بمصالحه من العدم إلى الوجود ما يدل على جوده تعالى وكمال عنايته. وكذلك خلق له بيتاً مزيناً

مجيء سيدها ظافراً (رو ١٢: ١٠). وربنا كثر الأرفة في البرية لنفهم أن زمناً جديداً قد افتتح، فيه نقتات ونشفي لا بوسائل الأرض بل بحضور المسيح في وسطنا وحسب (متى ١٤: ٢١). المسيحي إذا يعيش في البرية، وإن رمزياً، ولكنه يعيش «بريته» تحت سلطان التجارب ما دام لم يدخل بعد إلى «راحة الله» (عبر ٤: ١-٣). لكننا، مهما قست التجارب، لا ننسى مواعيد الله ولا نبرد إزاءها. فالغلبة مضمونة لأننا شركاء المسيح الأمين على ميراثه، وميراثه نحن «إن تمسكنا بثقة الرجاء» (عبر ٣: ١-٦).

الصعود إلى أورشليم

«هلم أيها المؤمنون لنبتدئ بنشاط في الأسبوع السادس من الصيام المكرم، ولننشئ تسابيح تقدمه عيد الشعانين للرب الآتي بمجد إلى أورشليم ليُميت الموت باقتدار لاهوته، لذلك فلنعد رايات الظفر بحسن تدين، أعني أغصان الفضائل لكي نهتف قائلين أوصنا لخالق الكل» (غروب مساء الأحد الخامس). في الأحد الأخير من الصوم الكبير تضعنا الكنيسة في أجواء ما سيحدث في الأسبوع العظيم المقدس، أي الآلام والقيامة، فيقرأ على مسامعنا النص الإنجيلي الذي يتحدث فيه الرب يسوع صراحة، وليس بأمثال أو بالإشارة، عما سيعرض له. «هوذا نحن صاعدون إلى أورشليم وابن البشر سيسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم» (مر ١٠: ٣٣ و٣٤).

الرب ماض إلى أورشليم في رحلة طوعية أخيرة تقوده إلى المجد. لكن طريق المجد محفوفة بالهزء والجلد واللطمات والصلب والآلام. لا قيامة

بدون موت. ألم يقل الرب لتلميذ يعمواس، بعد قيامته: «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو ٢٤: ٢٦)؟ الكنيسة تهيئنا اليوم كما هيأ الرب تلاميذه قبيل آلامه، لكي نعلم، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم، انه «سار نحو الآلام باختياره وبسابق معرفته دون أن يجهل ذلك أو يكون مدفوعاً من حاجة ما». يريد أن يهيئنا مسبقاً لكي لا يتزعزع إيماننا، فالقيامة آتية لا محالة. يعلمنا انه كان عالماً بكل ما سيجري له، لكن محبته لله ومحبته للبشر تأتیان أولاً. «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣). كان لا بد له أن يخبرهم بما سيحدث له لكي لا ينفرط عقدهم عندما يرونه مردولاً على الصليب ولكي لا يشكوا فيه، ولا يياسوا لأن القيامة ستبعب الآلام. لكنه أيضاً يود أن ينبههم أن لا ينخدعوا بالاستقبال الذي سوف يلقاه يوم الشعانين، فهو لم يأت ليكون ملكاً أرضياً يخدمه البشر، إنما أتى كملك سماوي لخدمة البشر. ودخول العظمة في الشعانين هو دخول الظافرين إلى الملكوت.

يعلمنا إنجيل اليوم من خلال الحوار مع ابني زبدي يعقوب ويوحنا ان المجد الحقيقي هو في خدمة الآخرين. وكيف إذا كانت الخدمة هي الفداء على الصليب: «ابن البشر لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين». خدمة يسوع الخلاصية هي أعظم خدمة يقدمها أحد لأحبائه لأنها خدمة مجانية وطوعية، لم يجبره أحد عليها. لقد أتى يسوع طوعاً. وسلم نفسه إلى رؤساء الكهنة لكي يصلب، فصار هو رئيس الكهنة الأعظم إذ قدم نفسه ذبيحة و«دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» (عبر ٩: ١٢) على ما تقول رسالة اليوم.

إنجيل اليوم يذكرنا بإنجيل أحد الفريسي والعشار الذي قرأناه في أول

بأجمل المنظورات إذ جعل له اليابسة أرضاً والسماء سقفاً. وزين ذلك السقف بالأنوار المشرقة كالشمس والقمر وبقية الكواكب على اختلاف هيئاتها وحسن نظامها، وأخرج من اليابسة أنواع الأشجار والأزهار والمعادن والحيوانات والطيور وغير ذلك من المخلوقات التي تحتاج إليها البشر. ولما تمّ نظام هذا المنزل وفرغ من إعداد الحوائج والكرامات قال لنخلقُ إنساناً على شبهنا ومثالنا أي يكون له سلطان على هذه الموجودات كلها. أنظرتهم عظم هذا الاهتمام. أفهمتم قوله لنخلقُ إنساناً على شبهنا ومثالنا ليتسلط على سمك البحر وطيور السماء ووحوش القفار. رأيتهم قط سيّداً يصور عبده بصورته ويعامل غلمانه هكذا؟ فكيف لا يجب علينا دائماً أن نكون ناظرين إلى هذا الإحسان بعيون بصائرنا، شاكرين من صميم قلوبنا، ممجدين المحسن إلى جنسنا، طائعين المنعم علينا بهذه الكرامات، لئلاً نكون مثل أولئك الخاسرين الذين أمّلوا أن يُخرج كرمهم عنباً فأخرج شوكا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أحد مُهيء للصوم الكبير. التواضع هو محورهما. هذا هو الدرس الأول والأخير الذي يجب أن نتعلّمه لندخل الملكوت. إن لم تكن متواضعاً لا تستطيع أن تعترف بخطاياك وتتوب، ولا تستطيع خدمة الآخرين. الرب يسوع أخلى نفسه، اتضع، «أخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس. وإن وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الأب» (في ٢:٧-١١).

أمسية مرتلة

بمناسبة الأسبوع العظيم المقدس تقيم جوقة مدرسة القديس رومانوس المرنم في الأبرشية أمسية تراتيل من التريودي والخميس العظيم المقدس عند السابعة من مساء الجمعة ٢ نيسان ٢٠٠٤ في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرافية.

صلوات الأسبوع العظيم

في ما يلي برنامج الصلوات برئاسة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس:

السبت ٣ نيسان - سبت لعازر:

+ صلاة السحر في الثامنة والنصف والقداس الإلهي في التاسعة والنصف في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

الأحد ٤ نيسان - أحد الشعانين:

+ صلاة السحر في الثامنة والنصف والقداس الإلهي في التاسعة والنصف في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت.

+ صلاة الختن الأولى في كنيسة دير

مار الياس بطينا، الساعة السادسة مساءً.

الإثنين ٥ نيسان - الإثنين العظيم:

+ صلاة الختن الثانية في كنيسة مار الياس في المصيطبة، الساعة السادسة مساءً.

الثلاثاء ٦ نيسان - الثلاثاء العظيم:

+ صلاة الختن الثالثة في كنيسة القديسة كاترينا في مدرسة البشارة الأرثوذكسية، الساعة السادسة مساءً.

الأربعاء ٧ نيسان - الأربعاء العظيم:

+ صلاة الزيت المقدس في كنيسة بشارة السيدة في الأشرافية، الساعة الخامسة مساءً.

الخميس ٨ نيسان - الخميس العظيم:

+ خدمة أناجيل الألام المقدسة في كنيسة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في المزرعة، الساعة الخامسة مساءً.

الجمعة ٩ نيسان - الجمعة العظيم:

+ خدمة الساعات وإنزال المصلوب في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرافية، الساعة التاسعة صباحاً.

+ خدمة جناز المسيح في كنيسة بشارة السيدة في الأشرافية، الساعة الخامسة مساءً.

السبت ١٠ نيسان - سبت النور:

+ القداس الإلهي في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرافية، الساعة التاسعة صباحاً.

الأحد ١١ نيسان - الفصح المقدس:

+ الهجمة وقداس الفصح في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرافية، الساعة السادسة صباحاً.

الإثنين ١٢ نيسان - الإثنين الجديد (الباعوث):

+ القداس الإلهي في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة، الساعة التاسعة صباحاً.

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb